الفصل الثاني :

دوافع الجريمة وأسبابها

- السيكوباتية والجريمة.
- السمات التي تحدد شخصية السيكوباتي .
- ما هي العوامل السببية في نشأة السيكوباتية ؟
- ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه الأسرة في إصابة أبنائها بالسيكوباتية ؟
- الجريمة سلوك له دوافع .
- الجريمة والضعف العقلي .
- إسهامات العلم في تحقيق العدالة .
- الذكاء وحسن الخلق .
- الجريمة وسمات الشخصية .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني :

دوافع الجريمة وأسبابها

السيكوباتية والجريمة

انحراف السيكوباتية عبارة عن انحراف أخلاقي وسلوكي ، وهو انحراف لا يصنف ضمن الأعصبة النفسية أي الأمراض النفسية كما لا يعد من بين الذهانات العقلية أي الأمراض العقلية ، لأن الخلل أو العطب فيه يصيب الجانب الأخلاقي والعاطفي لدى الفرد في حين تظل قواه العقلية سليمة . وترتبط السيكوباتية بكثير من الجرائم والانحرافات كالسرقة والنصب والاحتيال والغش والعدوان والانتقام والدعارة والاستغلال والابتزاز.والشخص السيكوباتي يميل إلى الكذب ولا يشعر بتأنيب الضمير أو وخز الضمير أو الندم على ما يقترفه من آثام ومعاصي وجرائم . وتشترك الظروف البيئية وكذلك المؤثرات الوراثية في نشأة هذا الاضطراب الأخلاقي ولذلك فإن معرفة أسباب نشأته تساعد في الوقاية من الإصابة به.

في السيكوباتية Psychopathy ، وكذلك فيما يعرف باسم السلوك المضاد للمجتمع Antisocial Behaviour يوجد عناصر مشتركة بين الاثنين ، من ذلك الميل إلى خرق القانون Breaking Laws واضطراب الشخصية المضادة للمجتمع Antisocial Personality Disorder يتضمن ما يعرف باسم الاضطراب الأخلاقي أو السلوكي Conduct Disorder يظهر في سلوك المراهق قبل سن الخامسة عشر من العمر ، ويشمل ارتكاب الجرائم الآتية:

1) التشرد Truancy.
2) الهروب من المنزل.
3) الكذب المتكرر.
4) السرقات.
5) جرائم الحريق العمد Arson.
6) تدمير الممتلكات بصورة متعمدة.

ويشترط أن يستمر هذا النمط من السلوك الانحرافي في المراهق من قبل سن الخامسة عشر من العمر حتى سن الرشد Adulthood . فالسلوك الانحرافي تظهر بوادره من سن مبكرة نسبيًا ويستمر حتى سن الرشد .

(Davison, G.C . and Neale J.M . 2001: 365)

فالسلوك المضاد للمجتمع لا يظهر فقط في الرشد ، ولكنه يرجع إلى مرحلة الطفولة . ولقد تبين ، وفقًا لبعض الإحصاءات الأمريكية ، أن هناك 60٪ من الأطفال المصابين باضطراب الأخلاق هذا نشأ عندهم في الرشد اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع . ولا يخفى أن حياة الإنسان سلسلة متصلة من الحلقات يؤثر فيها السابق في اللاحق وخاصة مرحلة الطفولة التي تترك بصماتها قوية على شخصية الفرد فيما بعد وعلى سلوكه.

مما يؤكد أهمية مرحلة الطفولة في تكوين شخصية الفرد على السواء أو على الانحراف ، الأمر الذي يدعونا دائمًا لضرورة توفير الرعاية الدينية والأخلاقية والوالدية والاجتماعية والنفسية والطبية لجميع الأطفال وحمايتهم من العوامل والظروف التي قد تؤدى إلى إصابتهم بالأمراض أو الانحراف والجنوح.

وتدل الملاحظات أن الشخص الراشد الكبير المصاب باضطراب الشخصية المضادة للمجتمع يظهر أنماطًا من السلوك تتسم بما يلي:

1) سلوك غير مسئول.
2) سلوك مضاد للمجتمع.
3) لا يعمل في وظيفة بصفة دائمة.
4) خرق القوانين.
5) يظهر نوعًا من الثورة والتهيج.
6) يمارس العدوان الفيزيقي كالضرب والاعتداء على الغير.
7) يتورط في الديون مع عدم سدادها Defaulting on Debt .
8) طائش ومتهور ومهمل دائمًا Being Reckless.

وقد يصيب هذا الانحراف الذكور والإناث أيضا ، ويتصف صاحبه بالاندفاع Impulsiveness ويفشل في التخطيط المستقبلي . ويميل إلى الكذب ، وإلى ممارسة الأعمال

السيئة ، ورغم أنه يدرك ذلك تمامًا إلا أنه لا يظهر أي اهتمام بقول الصدق أو يشعر بالذنب لأعماله السيئة هذه . فالشعور بالذنب لديه ضعيف جدًا وضميره الأخلاقي غير نام وبالتالي لا يقوم بوظائفه.

بل إنه يميل إلى الكذب ، ويفضله ، حتى وإن كان قول الصدق في صالحه هو . ووفقًا لبعض الإحصاءات الأمريكية هناك 3٪ من مجموع السكان من الذكور و 1٪ من الإناث مصابون باضطراب الشخصية المضادة للمجتمع . ويلاحظ أن هذه المعدلات تزيد بين صغار السن عنها بين كبار السن . فحدة الجريمة تقل وفقًا للتقدم في العمر وما يصاحبه من النضوج العقلي والاجتماعي واكتساب الخبرة ، وضعف القوة الفيزيقية التي تلزم لارتكاب بعض الجرائم . كذلك فإن هذه المعدلات تزيد بين أبناء الطبقة الاجتماعية والاقتصادية الأدنى . فهذا الاضطراب يرتبط بالعمر وبالطبقة الاجتماعية والاقتصادية ، وكذلك بالميل نحو تعاطى الخمور والمخدرات . وهناك فرق بين أعراض الشخصية المضادة للمجتمع والسيكوباتية ، حيث يميل التركيز في تحديد السيكوباتية على جوانب التفكير والمشاعر المنحرفة أكثر من اعتمادها على السلوك المضاد للمجتمع ، من هذه السمات ما يلي:

1) فقر في الانفعالات والعواطف أو جمود العاطفة عند الشخص السيكوباتي أو تحجر عاطفته سواء العواطف الإيجابية كالحب والعواطف السلبية كالكراهية . ولذلك لا يشعر الشخص السيكوباتي بالعار أو الخجل ، وإذا أظهر اهتمامًا بالآخرين أو تعاطفًا نحوهم فإنما يفعل ذلك من جانب التمثيل فقط فهو يدعى التعاطف فقط . ولكنه من الناحية الظاهرية يبدو شخصًا جذابًا ولذلك قد ينخدع به الناس ، ومن عيوبه أنه قادر على استغلال الآخرين وامتصاص دمائهم وتسخيرهم لمصلحته الذاتية . ولذلك يتسم هذا الشخص بالأنانية المفرطة والطمع والجشع والاستغلال والابتزاز . وهو شخص يفتقر إلى الشعور بالقلق ، ولذلك فهو لا يستفيد من أخطائه السابقة ، ولا يعمل على تحاشيها ، فقد يكرر نفس الأخطاء ونفس المخالفات والجرائم عشرات المرات بل أنه لا يتأثر حتى بما ينزل به من العقاب والردع ، إنه لا يتعلم من أخطائه ، وفقدانه المشاعر الإيجابية يجعله يتصرف دون الإحساس بالمسئولية نحو الآخرين ، وقد يتصرف بقسوة وغلظة وخشونة Cruelly . ولذلك يقال في وصفه "إنه يقتل ويضحك" بمعنى أنه لا

يشعر بالذنب أو تأنيب الضمير أو لوم الذات على ما يقترفه من جرائم ومخالفات ، مهما كانت ضحاياه من كبار السن أو الضعفاء أو المرضى.

ومن وجوه التمييز بين السيكوباتي وصاحب السلوك المضاد للمجتمع أن سلوك السيكوباتي يصدر عنه بصورة قهرية اندفاعية Impulsivelyبمعنى أنه لا يستطيع التحكم في سلوكه كما أنه يشعر بالسعادة والمتعة من جراء إجرامه وما يحققه من مكاسب مالية ، حيث يشعر بمزيد من النشوة من جراء ذلك.

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون في حاجة ماسة إلى المال في حد ذاته ، فقد توجد السيكوباتية بين كبار التجار والمقاولين وأصحاب المهن التخصصية العالية ، ولذلك يكثر انتشارها بين مرتكبي جرائم الرشوة والاختلاس والتزوير والتزييف والشهادة الزور والسرقة ولدى الموظف المهمل لواجباته والتاجر الغشاش والصديق المستغل . ويمكن تمييز مجموعتين من السمات التي تحدد شخصية السيكوباتي هي:

1) الانفصال أو الانعزال العاطفي ، وبذلك يتسم السيكوباتي بالأنانية والطمع والجشع ، وانعدام الشعور بالذنب أو لوم الذات أو تأنيب الضمير Remorseless على ما يرتكبه من جرائم وتضخم في شعوره باحترام ذاته بصورة مرضية لدرجة أنه يستغل ويبتز ويستثمر الآخرين لصالحه Exploits Others .

2) المجموعة الأخرى من السمات والخصائص التي تميز الشخص السيكوباتي اعتناقه أسلوبًا للحياة مضادًا للمجتمع يظهر في هذا النمط الاندفاعية وانعدام الشعور بالمسئولية . وبالتالي لا يشعر بالواجب ، ولا يهتم بحقوق الآخرين أو مصالحهم . ويمكن أن يضاف إلى ذلك عدم شعوره بالقلق.

ووفقًا لبعض الإحصاءات ، فإن انحراف السيكوباتية هذا يوجد بنسبة أكبر بين الذكور عنه بين الإناث . كذلك فإن هذا الانحراف يرتبط باستعمال الكحول والمخدرات . وتدل بعض الدراسات على وجود السيكوباتية بين الأحداث الجانحين Delinquents ولا يهتم السيكوباتي بحقوق الآخرين . **(Davison, G.C . and Neal, J.M.)**

ويميل كثير من العلماء إلى التمييز بين اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع وبين السيكوباتية .

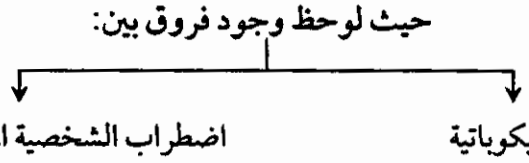

ولكن ذلك لا يعنى أنهما ليسا مرتبطين ، ولكنهما ليسا اضطرابًا واحدًا . فلقد دلت بعض الدراسات الأمريكية أن هناك فقط 20٪ من أصحاب اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع كانوا من السيكوباتيين أيضًا . فالسيكوباتي ليس من الضروري أن يكون مجرمًا بالتعريف القانوني ، وكذلك أصحاب النزعة المضادة للمجتمع ، وهم فئة خارجة على القانون والنظام ليسوا من الضروري أن يكونوا من السيكوباتيين أو مصابين بالسيكوباتية ، وإن كانوا من معتادي الكذب ، ولذلك فإننا حين نقوم بدراسة حالتهم ونسألهم أن يقرروا عن أحداث قاموا بها منذ عشرين أو ثلاثين عامًا ، فإننا لا نتوقع منهم أن يذكروا الحقيقة . ولذلك في التحقيق الجنائي من الصعوبة بمكان أن يستخرج المحقق الاعترافات من الشخص السيكوباتي سواء أكان متهمًا أم شاهدًا في الدعوى . وخاصة وأن بوادر السيكوباتية تبدأ منذ الطفولة . الأمراض النفسية أو المرض النفسي Psychopathology يختلف عن النزعة الإجرامية Criminality فالإجرام يختلف عن المرض النفسي:

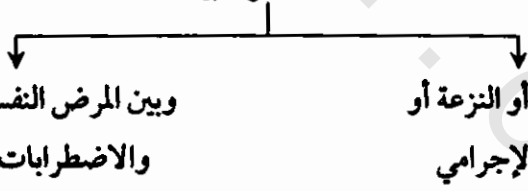

وإن كانت العوامل السببية قد تكون واحدة كالحرمان والقسوة والفشل والإحباط . وقد تختلف درجة الارتباط بين بعض الجنايات Felons واضطراب الشخصية المضادة للمجتمع ، حيث تبين أن هناك 80٪ ممن أدينوا بجنايات Felons كانوا يتسمون بسمات الشخصية المضادة للمجتمع واضطرابها . في حين لم يكن هناك سوى 15 – 25٪ ممن أدينوا Convicted بهذه الجرائم من السيكوباتيين . **(Davison, G.C . and Neal, J.M. 2001 : 367)**

ويؤكد ذلك أن انحراف السيكوباتية ، في جوهره ، انحراف أخلاقي ولذلك كان يطلق عليه

في الماضي العته الأخلاقي أو الجنون الأخلاقي ، والسيكوباتية ليست مرضًا نفسيًا معروفًا ولا هي مرض عقلي ذهاني وإنما هي اضطراب يصيب الأخلاق والضمير الأخلاقي حيث يعجز ضمير الفرد عن القيام بوظائفه في الردع والعقاب والمحاسبة وفي منع الجريمة قبل حدوثها.

ما هي العوامل السببية في نشأة السيكوباتية؟

من العيوب المنهجية في معظم الدراسات التي تناولت السيكوباتية أنها أجريت على أناس كبار ، وطلب منهم العودة بالذاكرة لسرد أحداث طفولتهم ، وبالطبع تتأثر هذه الخبرات بعامل النسيان أو التحوير العمدي أو غير العمدي . كذلك فإنه على الرغم من أن معظم السيكوباتيين طلقاء في الحياة لم تمتد إليهم يد العدالة والقانون ، إلا أن الدراسات تناولت أولئك الذين يتم ضبطهم وإدانتهم في جرائم معينة،وبذلك نكون أمام أشخاص يختلط عندهم السيكوباتية والانحراف الإجرامي معًا.

وعلى كل فالسؤال الذي يهم الباحث في هذا المجال هو التعرف على العوامل السببية التي تؤدى إلى نشأة الإصابة بالسيكوباتية . وذلك بغية تحاشيها وحماية الأطفال من الإصابة بها . وفي هذا الصدد لابد من دراسة تأثير الوراثة Genetics وكذلك العوامل النفسية أو البيئية ، تلك العوامل التي تؤثر في أسرة السيكوباتي وبالتالى في حالته الانفعالية أو النفسية . هل السيكوباتية اضطراب وراثى ينتقل من الآباء والأمهات والأجداد إلى الذرية؟

ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه الأسرة في إصابة أبنائها بالسيكوباتية؟

معروف أن الأسرة من أهم المؤسسات التي تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل Socialization فهي التي تستقبل الطفل في أيامه الأولى ، وهى التي تقدم له الرعاية والحماية والتغذية والتربية ، وهى التي تغرس فيه القيم والمثل والمعايير والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع ، وبذلك تسهم الأسرة في صقل شخصية الفرد وتكوينها ونموها.

في تفسير نشأة السلوك السيكوباتي لابد من الرجوع إلى الأسرة،ودراستها ومعرفة ظروفها . ولقد تبين أن أسر هؤلاء كان ينقصها التعاطف أو الحب تجاه الأبناء Affection وأن الآباء كانوا يلفظون أو ينبذون الأطفال Parental Rejection وترجع السيكوباتية لهذه الظروف الأسرية التي عانى منها الطفل . كذلك تبين أن التذبذب في التعامل مع الطفل وفي

تربيته من جانب الآباء والأمهات يسهم في نشأة هذا الانحراف ، ونعنى بذلك التذبذب بين القسوة المفرطة والتدليل المفرط ، وعدم الثبات على منهج واحد في تربية الطفل Inconsistencies in dispcipling وفي تعليمهم تحمل المسئولية تجاه الآخرين . وكذلك لوحظ ارتباط السيكوباتية بإساءة معاملة الطفل فيزيقيًا Physical Abuse كذلك لوحظ أن سلوك الآباء أنفسهم كان سلوكًا مضادًا للمجتمع أيضًا . ومن هنا يكمن عامل وراثي وعامل التقليد والمحاكاة في نشأة هذا الاضطراب.

عندما نسأل شخصًا ما أن يسرد لنا الأحداث التاريخية لشخص آخر أصبح معروفًا ، الآن ، أنه مجرم أو أنه سيكوباتي ، فلابد أن هذه الذكريات تتلون بهذا الشكل بناء على هذه المعرفة ، فقد لا يتذكر إلا الأحداث المنحرفة Deviant Incidents وفي نفس الوقت ينسى الأحداث السوية كذلك فإن منهج الاسترجاع والعودة إلى الماضي هذا وما ينجم عنه من تقارير عن الماضي وأحداثه Retrospective Reports لا يصلح مع السيكوباتي نفسه لأنه شخص دأب على الكذب.

وللتغلب على هذه الصعوبة المنهجية يمكن إتباع الطريقة الطولية أو الدراسات التتبعية Follow–Up Studies على الأطفال الذين يحولون على مراكز رعاية وتوجيه الأطفال الذين يتوقع لهم أن يكونوا سيكوباتيين . تتبع هؤلاء منذ الطفولة حتى مرحلة الرشد . وهنا يمكن الاحتفاظ بالتقارير الفنية عن الفرد منذ طفولته ، تلك التي تحتوى على المشاكل التي أدت إلى ذهابه إلى العيادة ومعرفة كل ظروف أسرته ومستواه الدراسي والسلوكي وما إلى ذلك.

ففي إحدى هذه الدراسات التتبعية تم تتبع 90٪ من مجموع عينة من الأطفال بلغت 584 حالة ، وذلك بعد مضى ثلاثين عامًا على بداية الدراسة . وكان هناك أيضًا 100 فرد من نفس المنطقة الجغرافية والاجتماعية تم الاستفادة منهم كجماعة ضابطة في هذه الدراسة . حيث تناولت هذه الدراسة الطولية عينتين هما:

مجموعة ضابطة من الأطفال الأسوياء من نفس المستوى الاجتماعي والاقتصادي والإقليمي أو الجغرافي.

مجموعة تجريبية من الأطفال الذين أمكن توقع إصابتهم بانحراف السيكوباتية ممن تم تحويلهم إلى عيادات التوجيه والإرشاد النفسي.

وكشفت مقابلة هؤلاء وهؤلاء في الرشد عن وجود كثير من أنماط سوء التكيف لدى المجموعة التجريبية Maladjustments وبذلك أمكن التنبؤ بالصفات التي وجدت في الطفولة والتي أدت إلى السيكوباتية في الرشد.

ما هي صفات الطفولة التي ترشح الفرد كي يكون سيكوباتيًا في الكبر؟

كشفت الدراسة أن هؤلاء هم الأطفال الذين تم تحويلهم لعيادات التوجيه النفسي بتهمة السرقة والعدوان، والأعمال التي أدت إلى إحالتهم إلى محكمة الأحداث Juvenile Court وكان لهم تاريخ في التشرد والهروب Truancy والسرقة، والتأخر خارج المنزل ليلاً، ورفض طاعة الوالدين. وكانوا يكذبون بصورة مستمرة، ولا يشعرون بالذنب من جراء سلوكهم المنحرف. وأظهروا عدم الشعور بالمسئولية حيال النقود، وحيال أماكن تواجدهم. وكان هؤلاء الأطفال إما لا يخضعون لنظام تأديبي في الأسرة مطلقًا أو يخضعون بصورة غير منتظمة. ولكن مهما يقال عن الظروف الأسرية فإنها لا تزيد عن كونها أحد العوامل فقط لأن هناك من يمرون بمثل هذه الخبرات ومع ذلك لا يصبحون سيكوباتيين.

وبالنسبة لتأثير الوراثة في نشأة السيكوباتية، فإن الدراسات التي تناولت التوائم العينية وكذلك أطفال التبني تدل على وجود عامل وراثي في نشأة هذا الاضطراب Adoption and Twin Studies بما في ذلك الأخوة الذين تربى كل أخ منهم بعيدًا عن أخيه. هذه الاستعدادات الوراثية ترشح الفرد لارتكاب عمل إجرامي Criminal Act ولكن حتى في ضوء افتراض تأثير العوامل الوراثية فإن العوامل البيئية تلعب دورًا هامًا. ذلك لأن السلوك الإجرامي للطفل يدفع الوالدين لمعاملته معاملة خشنة كما يقل شعورهم بالدفء والعطف والحب والحنان نحوه. **(Davison, G.C. and Neale, J.M. 2001:369)**

فهناك تواصل بين الطفل ووالديه فإن استجاب لعطفهما وحبهما زاد هذا التعاطف وإن قابلة بالجحود قل هذا التعاطف فالعلاقة بين الآباء والأبناء ليست من طوف واحد. المعاملة الخشنة للطفل Harsh Discipline تقوده إلى مزيد من السلوك المضاد للمجتمع.

تؤكد الدراسات أن السيكوباتي لا يستفيد من خبراته السابقة، ولا يستفيد حتى من العقاب وعلى ذلك يفشل في تفادى أو تحاشى السلوك الذي يجلب له الضرر ولا يدرك العواقب السلبية لسلوكه Negative Consequences فهو شخص مدمن خرق القانون حتى

بالرغم ما يصدر ضده من أحكام بالسجن Jail Sentences ويبدو وكأن لديه مناعة ضد الشعور بالقلق أو الكذب أو الاعتداء على الآخرين . ويعانى من قمع أو ضبط دوافعه . وفي ضوء نظريات التعلم الاجتماعي يقال إن السيكوباتي لم يتم تطبيعه اجتماعيًا أو تنشئته تنشئة اجتماعية سليمة . لأنه لم يكن يستجيب للعقاب عن سلوكه المضاد للمجتمع.

لم يحدث عندهم نوع من التعلم الشرطي الذي يجعلهم يخافون ذلك الخوف الذي يعمل بدوره على كف أو منع أو انطفاء السلوك المضاد للمجتمع . غالبية الناس الأسوياء يخافون من خرق القانون خوفًا من العقاب أو لتوقع العقاب لأنهم تعلموا ذلك بطريق التعلم الشرطي ولكن هذا لا يحدث بالنسبة للشخص السيكوباتي.

ليس لدى السيكوباتي قدرة على كف أو منع أو قمع السلوك المضاد للمجتمع لأنه لا يشعر بالقلق من جراء خرق القانون . شعوره بالقلق أقل من غيره كما ظهر ذلك من التجارب التي أجريت عليهم وأوضحت أنهم لا يتحاشون إنزال العقاب عليهم ذلك العقاب الذي تمثل في إنزال صدمات كهربائية عليهم مقارنة بمجموعة ضابطة من الأسوياء . فهم لا يتحاشون الصدمات لأنهم لا يشعرون بالقلق أو الخوف منها . وتؤكد هذه الدراسات التي أجريت على جهازهم العصبي المستقل كما ظهر ذلك من قياس استجاباتهم الجلدية . كذلك تبين أن السيكوباتي يكون أقل تعاطفًا مع آلام الآخرين Less Empathy For the Distress of others . **(Davison, G.C . and Neale, J.M . 2001:370)**

وتدل بعض الدراسات التجريبية على أن السيكوباتي عاجز عن تعديل استجاباته أو تغييرها عندما يصبح هذا التغيير ضروريًا.

وقصارى القول فإن السيكوباتية نزعة نحو الإجرام والعدوان والكذب والغش والاستغلال والابتزاز وعدم الشعور بالمسئولية والجفاف العاطفي وضعف الضمير الأخلاقي . وواضح أنها من تضافر العوامل الوراثية والعوامل البيئية ولذلك يمكن الحد من انتشارها إلى حد كبير.

المصادر:

1) Davison, G.C . and Neale, J.M., (2001) Abnormal Pychology, Wiley, New York.
2) Nevid, J.S., and others, (1997) Abnormal Psychology, Prentice Hall, New Jersey.
3) Oltmanns, T.F . and Emery, R.E., (1998) Abnormal Psychology, Prentice Hall, New Jersey.

الذكاء والجريمة

الجريمة سلوك له دوافع :

الجريمة سلوك،كغيره من أنماط السلوك السوي أو الشاذ أو المنحرف ، لابد له من دوافع ومحركات وأهداف يحققها وأن كانت أهداف غير سوية وغير مشروعة ، ولذلك يسهم في مكافحة الجريمة ، مكافحة علمية ، التعرف على أسباب وقوعها ، وظروف وملابسات ارتكابها ، وكذلك التعرف على سمات شخصية مرتكبها ، وقدراته ، وميوله ، واتجاهاته السياسية والاقتصادية ، وحالته الصحية والنفسية والعقلية قبل ارتكاب الجريمة وأثناء ارتكابها ، بل معرفة ذلك أيضًا بعد ارتكابها ومعرفة تأثير ارتكاب الجريمة على شخصية مقترفها بما في ذلك ظروف القبض عليه أو هروبه وأجراء التحقيق معه وإيداعه في السجن على ذمة القضية . كل ذلك يؤثر في شخصيته، ولذلك تحديد تلك الآثار التي حدثت بعد الجريمة وتلك الظروف التي كانت موجودة قبلها والتي صاحبتها كل هذا يساعد في مكافحة الجريمة ومنعها.

ولذلك فلتفسير الجريمة أهمية كبيرة في مكافحتها ، ومنع انتشارها ، ومنع مرتكبها من العودة للجريمة ثانية . وتأهيلهم وأعادتهم إلى مظلة المجتمع.

الجريمة والضعف العقلي:

ولقد حاول بعض العلماء الربط بين الذكاء والجريمة ، ومن ناحية أخرى ، هناك محاولات للربط بين الجريمة والتخلف العقلي أي نقص مقدار ما يتمتع به الفرد من ذكاء . ومعروف أن الشخص المتوسط أو العادي في ذكائه تصل نسبة ذكائه إلى 100 ، بمعنى أن يتساوى عمره العقلي ، وهو المعبر عن مستوى أدائه الذهني ، أي يتساوى مع عمره الزمني ، ومن يحصل على درجة أعلى من 100 فهو فوق المتوسط ، ثم هناك الشخص الذكي جدًا والعبقري والذي تصل نسبة ذكائه إلى 180 أو أكثر . وعلى الجانب الآخر ، هناك الشخص المعتوه أو الأبله أو ضعيف العقل ، وقد لا تتجاوز نسبة ذكاؤه ذكاء طفل في سن السادسة من عمره ، ولا يسأل مثل هذا الشخص عن الأعمال الجنائية التي يرتكبها ، وذلك بسبب انعدام سلطات الإدراك والوعي والإرادة لديه . والشخص الأبله لا يتجاوز ذكاؤه ذكاء

طفل العاشرة ، وهو لا يعفى من المسئولية الجنائية ولكن ضعفه العقلي هذا يؤدى إلى تخفيف العقوبة فقط.

وتدل بعض الإحصاءات الجنائية الأمريكية على أن نسبة ارتكاب الجرائم بين ضعاف العقول نسبة عالية ، حيث وجد بعض علماء النفس أن نسبة ضعاف العقول في المؤسسات العقابية الأمريكية تصل إلى 89٪ من مجموع المحكوم عليهم ، ولكن هذه النسبة كانت عالية جدًا ، وظهرت إحصاءات أخرى أقل من ذلك بكثير ، فلقد بلغت نسبة الجانحين من ضعاف العقول 50٪ وتميل هذه النسبة للانخفاض في الوقت الراهن . ومما يلقى بظلال من الشك على هذه النسبة المرتفعة أن المخالفات التي يرتكبها ضعاف العقول في السجون لا تزيد عن نسبة السجناء العاديين ، كذلك فإن نسبة العود في الجريمة تتساوى بين ضعاف العقول والعاديين ، ولكن مع ذلك هناك زيادة في نسبة المجرمين من ضعاف العقول عن نسبتهم في المجتمع الخارجي.

جرائم الأذكياء والأغبياء :

ولقد لوحظ أن الجرائم التي يرتكبها ضعاف العقول تختلف عن تلك التي يرتكبها الأذكياء . حيث لوحظ أن هناك فروقًا نوعية في الجرائم بين الأذكياء والأغبياء لدرجة أن هناك من يميز بين جرائم الأذكياء ، وجرائم الأغبياء . من جرائم الأذكياء النصب والاحتيال والتزوير والتزييف والتآمر ضد الدولة ، والجرائم الاقتصادية كالرشوة والاختلاس والتربح والجرائم السياسية ، وجرائم التجسس والتخابر مع جهات أجنبية والتهرب الضريبي والجرائم المنظمة أو الجرائم الكبرى ، ذلك لأن الإتيان بها يتطلب قدرة كبيرًا من الذكاء ومن القدرة على الاحتيال والتخطيط والتدبير (أمين مصطفى محمد 1996 : ص 294) .

أما جرائم الأغبياء فلا تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء ، من ذلك جرائم التسول والتشرد والحريق العمد والنشل ، وبعض الجرائم الأخلاقية ، كالفعل العلني الفاضح ، واغتصاب الأطفال و الحيوانات وقتل الولدان وكشف العورة والسرقات البسيطة وترويج المخدرات.

وهناك رأى مؤداه أن جميع المجرمين تقريبًا هم من ضعاف العقول ، وأنهم لا يدركون عواقب الأمور ولا يفهمون العقوبات المحتملة لأعمالهم ، وأن الضعف العقلي يؤثر في كافة

أنماط سلوك الإنسان ، ومنها ، بالطبع ، السلوك الإجرامي ، فلقد لاحظ البعض انخفاض المستوى العقلي لدى جميع المجرمين.

ولقد استمر كثير من علماء الأجرام والطب وعلم النفس يعتقدون لمدد طويلة أن انخفاض الذكاء عامل أساسي في ارتكاب الجريمة ، وعلى سبيل المثال يذهب جودارد H.H. Goddard (1920) في كتابه الكفاءة الإنسانية ومستويات الذكاء ، يذهب إلى القول أن جميع البحوث التي أجريت على عقليات المجرمين والأحداث ومرتكبي الجنح وغيرهم من الجماعات المضادة للمجتمع لها ذكاء منخفض.

وذهب إلى القول بأن أهم الأسباب في جنوح الأحداث وفي الجريمة هي انخفاض مستوى الذكاء ، فمعظم هؤلاء المجرمين من ضعاف العقول . ولكن مثل هذا الرأى مبالغ فيه ، فهناك كثير من الدراسات التي أوضحت أن ذكاء الطوائف المضادة للمجتمع ، يقترب من الذكاء العام في المجتمع كله.

وعلى الرغم من أن كثيرًا من الدراسات توضح أن أفراد مجتمع السجناء تنخفض نسبة ذكائهم عن متوسط الذكاء العادى بالنسبة لأفراد المجتمع ، ولكن الواقع أن هناك بعض المجرمين الأذكياء الذين لا نلاحظهم داخل مجتمع السجن ، وأن الأشخاص الأكثر ذكاء يكونون أكثر قدرة على الدفاع عن أنفسهم في قاعات المحاكم ، ومن ثم لا يحكم عليهم بالإدانة ولا يدخلون السجن.

إسهامات العلم في تحقيق العدالة:

وفي مجال العلاقة بين الجريمة والذكاء ، يسعى علماء النفس لتطبيق مبادئ علم النفس على عملية وضع القوانين ، بحيث تتناسب مع القيم النفسية لأبناء المجتمع ، وكذلك لتنفيذ أحكام القانون lawmaking and law enforcement إلى جانب دراسة محتوى شهادة شهود العيان وعلاج المجرمين و المنحرفين والأحداث الجانحين . ولهذا العلم مستقبل واعد في هذا المجال الحيوى من حياتنا المعاصرة . ويتم دراسة الشهادة والأدلة الجنائية testimony and evidence ولقد بدأت هذه الحركة في وقت مبكر من القرن الميلادى الماضي حيث أصدر هيجو منستريج Hugo Munsterberg كتابا اسماه "موقف الشاهد" في العام on the witness stand (1908) وأظهرت مثل هذه الدراسات العلمية أن الاعتماد الكلى على

شهادة شهود العيان في المحاكمات الجنائية قد يؤدى إلى هدر العدالة justice ذلك لأن الدراسات العلمية أوضحت أن عملية الإدراك الحسي ، وكذلك عملية التذكر أو الاسترجاع يشوبها كثير من الأخطاء وعدم الدقة human perception and memory حتى مع توفر الأمانة لدى الشاهد،وعدم تعمده للكذب أو تضليل العدالة . ولقد لوحظ أحد أساتذة القانون الأمريكان منذ عهد بعيد (1932) مدى بطلان شهادة شهود العيان ، وذلك بجمع مئات القضايا التي قضى فيها بالإدانة على أناس أبرياء ، وصدرت ضدهم الأحكام تأسيسًا على شهادة شهود العيان.

الأدلة القولية مشكوك في صحتها خلافًا للأدلة المادية كالبصمات أو تحليل فصيلة الدم . وفي الأيام الأخيرة طالعتنا الصحف بقضاء أربعة أشخاص ، عشرة سنوات في السجن عن قتل أربعة أفراد ، تبين أن قاتلهم شخص آخر . حز فيه ضميره فاعترف بذلك بعد أن قضى هؤلاء الأبرياء عدة سنوات خلف القضبان.

ويدرس علماء النفس سمات شخصية المجرمين ، ومدى إمكانية عودتهم إلى مظلة المجتمع السوي . من ذلك ما لاحظه بعض العلماء من وجود علاقة بين الذكاء والنزعة للإجرام criminality يلاحظ ارتباط نقص نسبة الذكاء بجرائم العنف مثل.

1) القتل. 2) الضرب.

3) الجرائم الجنسية كالاغتصاب أو هتك العرض.

كما لوحظ ارتفاع نسبة الذكاء لدى مرتكبي جرائم أخرى تتطلب قدرًا أعلى من الذكاء مثل:

1) التزييف Forgery. 2) الاختلاس embezzlement

ولكن هذا التفسير يحتاج إلى كثير من التدقيق . ذلك لأن المجرم الأكثر ذكاء يستطيع أن يفلت من القبض عليه أو اكتشافه ، وقد يقضى عليه بالعقوبة مع الإيقاف . كذلك فإن جريمة الاختلاس لا تتوفر ألا للأفراد الأكثر ذكاء الذين يشغلون وظائف حكومية تسمح لهم بإيداع أشياء قيمة في عهدهم أو أموال كثيرة في عهدهم فيقومون باختلاسها أو سرقتها ومعاملة المسروقات معاملة الملكية الخاصة للمختلس.

وتدل دراسة الأحداث الجانحين على أن التخلف العقلي ليس هو السبب الرئيسي في

ارتكاب الجرائم ، حيث يتسع مدى الذكاء بين هذه الفئة ويقترب من ذكاء الأسوياء.

(Hilgard, E.R . 1986:603)

ولقد وجدت نسبة ذكاء مجموعة من الرجال السجناء في سجن أمريكي مساوية 91 وهى نسبة قريبة من المتوسط ، وفي دراسة أخرى قاس أحد العلماء معامل الارتباط بين الذكاء وجنوح مجموعة من الأطفال، ووجده مساويًا 0.217 وهو معامل ارتباط غير دال إحصائيًا مشيرًا إلى عدم الارتباط بين الذكاء والجنوح . وفي عينة من الأطفال ضعاف العقول وجد معامل ارتباط سالب بين الذكاء والجنوح بمعنى أنه كلما زاد الذكاء قل الجنوح . وهنا يبدو الأثر الإيجابي لارتفاع الذكاء.

وعلى كل حال ، فإن العلاقة بين الذكاء العام وبين الجريمة ليست قاطعة ، وهناك فروق نوعية في الجريمة التي يرتكبها مرتفعو الذكاء وتلك التي يرتكبها ضعاف الذكاء . فأصحاب الذكاء العالي يرتكبون الجرائم التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الذكاء.من ذلك جرائم الاختلاس embezzlement والنصب والسرقات المنظمة robberies والغش forgery وجرائم التزوير والتزييف ، أما المجرمون من أصحاب الذكاء المتدني ، فإنهم ينخرطون في جرائم مثل السرقة والقتل والضرب assault.

ولقد كشفت دراسة ميدانية أمريكية أن متوسط ذكاء القتلة كان 94.60 ومتوسط ذكاء اللصوص 103 ، فكان اللصوص أكثر ذكاء من القتلة.

اختلاف نوعية النشاط الإجرامي باختلاف الذكاء :

النشاط الإجرامي يختلف باختلاف الذكاء كما أن ذكاء الأفراد يختلف باختلاف المهن التي يعملون بها ، فذكاء مديري العموم ورؤساء المصالح يختلف عن ذكاء باعة الصحف . (العيسوي ، عبد الرحمن محمد ، 1993: ص 400)

ولقد كان لمقاييس الذكاء و اختباراته الفضل في تفنيد الرأي القائل بأن الضعف العقلي أهم عوامل ارتكاب الجريمة ، ووضحت هذه المقاييس أن الجريمة قد يرتكبها أي من أصحاب المستويات المختلفة من الذكاء . (راجح ، أحمد عزت ، 1994: ص 414)

ولقد تبين أنه من السهل استغلال الذكور من ضعاف العقول في أعمال كالنشل والسرقات البسيطة ، والإناث في ممارسة الدعارة . (راجح ، أحمد عزت ، 1994: 422) وذلك

عندما يستغلهم ضعاف النفوس ومنعدمي القيم الأخلاقية.

الذكاء وحسن الخلق :

ولقد تساءل كثير من العلماء: هل يتحتم أن يكون الشخص الذكي حسن الأخلاق؟ الذكي أقدر على التبصر في عواقب سلوكه عن غير الذكى ، وقد يسهم في تحديد السلوك ، إلى جانب الذكاء ، قيم الفرد ، ومثله ، ومعاييره ، وأخلاقياته ، وشعوره ولا شعوره ، وماضيه وخبراته ، وطبقته الاجتماعية ومستوى تعليمه ، وقدرته على ضبط النفس والتحكم في سلوكه وفي انفعالاته ، ومقاومة الأغراء مع القدرة على التميز بين النافع والضار ، وبين المباح والمحظور ، والحلال والحرام ، والصواب والخطأ.وقد يعجز عن ذلك وعن ضبط اندفاعاته أو عن ممارسة ضبطه الذاتي . بل قد يكون الذكاء عونًا على التمويه والتغمية وإخفاء معالم الجريمة . الذكاء يزود الفرد بالوسائل التي يستخدمها في الجريمة ، ولكنه لا يزوده بالدوافع التي تحركه لذلك . فالذكاء يوجه ويرشد ، ولكنه لا يدفع ولا يحفز . فهو يرشد اللص إلى أفضل الطرق للسرقة . فالذكاء شرط ضروري لاستقامة السلوك ، ولكنه وحده شرط غير كاف.

الإنسان هو الذي يوجه ذكاءه أما إلى وجوه الخير والنفع العام والصالح العام وإلى البناء والتشييد والنبوغ في العلم أو الفن أو الأعمال الخيرة ، وإما أن يتجه هذا الذكاء إلى الشر و الجريمة والجنوح والانحراف والفسق والفساد والضلال ، والتربية هي التي تحكم هذا التوجيه إلى ضروب الخير.

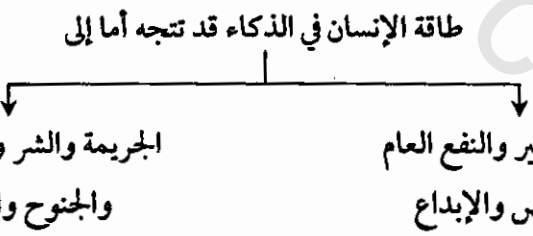

ولقد دلت الدراسات التي أجريت على الأطفال الموهوبين في دراسة أمريكية أنهم كانوا أيضًا على خلق طيب ، وهنا ارتبط الخلق بالذكاء.

وبناء على ما كان يلاحظ من ضعف ذكاء بعض المجرمين والجانحين ، ظهرت فكرة "المجرم الضعيف العقل" كأحد التصنيفات التي قسمت أنواع المجرمين ، كالمجرم بالوراثة ،

أو المجرم المولود ، والمجرم العصابي ، والمجرم المجنون ، وما إلى ذلك . واختلاف نسب معدلات الأجرام لدى الأذكياء والأغبياء ربما مرد ذلك أن الأذكياء أقدر على الإفلات من قبضة العدالة ، أو أقدر على تحقيق أهدافهم دون اللجوء إلى الجريمة ، فضلاً عن قدرة الذكى على التبصر في عواقب الأمور ، ومعرفة تبعات أعماله.

وقلة الذكاء قد تزيد من قابلية الإنسان للإيحاء عندما يقع في قبضة أقران السوء (راجح ، أحمد عزت ، 1994: 434).

الجريمة وسمات الشخصية:

فلقد ذهب عالم النفس إيزنك Eysenck, H.J . إلى افتراض أن الأشخاص المنبسطين مقارنة بالأشخاص المنطويين ، وكذلك الأشخاص المصابين بالعصابية أي النزعة نحو الإصابة بالأمراض النفسية المعروفة باسم الأعصبة النفسية كالقلق و الاكتئاب وتوهم المرض والوسواس/ القهري أكثر ميلاً إلى السلوك الإجرامي criminal behavior واجتماع هاتين السمتين أي الانبساط والعصابية يجعل الشخص ميالاً للآثار ة والتهيج،وأن هؤلاء لا يتعلمون من أخطائهم السابقة أو ما وقع عليهم من عقاب ، وعلى ذلك ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية قد فشلت عندهم ، وهى العملية التي يكتسب الفرد ، من خلالها ، قيم المجتمع ومثله ومعاييره ومبادئه وأخلاقياته ونظمه . وافترض إيزنك كذلك في الجريمة وجود عامل الإصابة بالذهان العقلي أي المرض العقلي ويجعل هذا المريض صاحبه باردا عديم العناية أو الاهتمام وعدوانيا ومنعزلاً solitary . ولكنه اعتقد أن هذه الخصائص تنتقل لصاحبها عن طريق الوراثة . وظهر أن المشكوك فيه هو ارتباط الأجرام بالشخص المنبسط . وقد يترابط الأجرام مع نزعة الاندفاعية في الشخص المجرم impulsiveness وقد يترابط الأجرام ليس بالذهان العقلي ، ولكن بالسيكوباتية أو الميل للأجرام والكذب والنفاق والضلال psychopathic ووجود هذه السمات في الشخص قد يجعله يميل ميلا فقط لارتكاب المخاطر المؤدية للجريمة . (Putwain, D. and Sammons, A. 2002: 40)

ومما لا شك فيه أن دراسة شخصية المجرم ودوافعه وقدراته وذكائه العام تسهم في فهم السلوك الإجرامي ومعرفة أسبابه ومن ثم التحكم في الجريمة ومكافحتها.

المصادر:

1) راجح ، أحمد عزت ، (1994) أصول علم النفس ، دار المعارف بمصر.

2) العيسوي ، عبد الرحمن محمد ، (1993) علم النفس الحديث دراسة في علم السلوك ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان.

3) Hilgard, E.R . (1986), Introduction to psychology, Rupert Hart – Davis, London .

4) Putwain, D . and Sammons, A . (2002) psychology and Crime, Routledge, New York .

obeikandl.com